

مثقف استثنائي

أسامة عرابي



مثقف استثنائي.. يتسم بالجسارة الفكرية والإسهامات الجادة يعد من أبرز المؤرخين المصريين الذين ينتمون إلي مدرسة التأريخ الاجتماعي العربية التي أسسها الراحلان الكبيران: د. أحمد عزت عبدالكريم ود. أحمد عبدالرحيم مصطفى، التي تعني بدراسة التاريخ في إطار الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكاشفة لأبعاده كافة، متوخية إمطة اللثام من قوانين تطور المجتمع، وطاقت التغيير فيه، ومعالجة إشكاليات التاريخ ومعضلاته بروح الباحث الوطني، والأكاديمي النقدي الذي يولي الأخلاقية المعرفية ونزعتة الانسانية ماهما خليقان به من دور مسنول. لذا راح يبحث عن حقيقته في أعطاف التاريخ المهمش والمتروك، عبر سرديّة مكنته من مساءلة ذاكرته الجمعية في درسه العلمي لتمثلات الماضي ومشهد الحاضر، علي نحو ماظالعهنا في أسفاره التي حملت بعض العناوين الآتية:

الحركة العمالية في مصر منذ نشأتها حتي قيام ثورة يوليو 1952، وهي رسالته التي حصل بها علي الماجستير في نوفمبر 1966، وصدرت في كتاب عام 1968.. الملكيات الزراعية الكبيرة وأثرها في المجتمع المصري (1837 1914) وهي رسالته التي حصل بها علي الدكتوراه في يناير 1971، وصدرت في كتاب عام 1973.. المجتمع الياباني في عصر ما يجي (1980).. جماعة النهضة القومية (1985).. جامعة القاهرة: ماضيها وحاضرها (1989).. تجربة التحديث بين مصر واليابان (1990) وترجم كتبا كثيرة منها: 'تجار القاهرة في العصر العثماني' و'ثقافة الطبقة الوسطي في مصر العثمانية' للدكتورة نبيللي حنا، و'فراغنة من' لمالكولم ريد وسواهم من العمد الأساسية التي أثرت مكتبتنا العربية. أما كتابه (مشيناها خطي.. سيرة ذاتية) فهو وثيقة تاريخية دامغة علي عصر ما فتية يتحلل ويأفل، وأريجا أخاذا من بستان الأدب والفن الراقيين، بفضل صدقه الجارح، وأسلوبه المترع بالعبوبة والصفاء.. وجراته علي كشف المستور، ودك الحصون المنيعّة لنجوم الفساد وسدنة الاستبداد. غير أن الكتاب الذي أصدرته 'جماعة العمل من أجل استقلال الجامعات والمعروفة بأسم (جماعة 9 مارس) تحت عنوان 'الجامعة المصرية والمجتمع.. مائة عام من النضال الجامعي (1908) 2008) فقد قام بتحريره د. رعووف عباس بعد أن شارك فيه بثلاثة أبحاث ضافية.. رصينة، هدف من خلالها إلي التأكيد علي أنه (لايمكن أن يتحقق استقلال الجامعة إلا إذا قام بناؤها علي أسس ديمقراطية).. وهو عين ما تغياه حين أسهم في اصدار تراث د. طه حسين من مقالات صحفية توزعت ما بين 1908 1967 منتصرا فيها للأفكار الطليعية والنظرات الجديدة في الفن والأدب والسياسة والتعليم وحقل الدراسات الاسلامية وهي ترهص بالمغاير والمختلف، وتصغي إلي روح متمردة لاتغلو في الاندفاع والمحو، ولكنها تولد وتنشأ في رحيل دائم داخل عالم حقيقي.

بيد أنه حرص في تأريخه علي تبيان حقيقة دور البورجوازية الوطنية زراعية التكوين، وأفاق تطورها المسدود، ومواقفها البيئية المتذبذبة، كما تفصح عنها، مثلا، دراسته الرائدة التي صدر بها كتاب راند الاقتصاد الوطني المصري 'محمد طلعت حرب' (علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة) راميا من وراء ذلك كله إلي انتاج معارف جديدة

تتصدي لواقع مشوه لايسمح لملايين الفاعلين فيه الذين دعوا 'بالجماهير' بأن يتسنى دورهم المنوط بهم.

أجل.. لقد كان رءوف عباس قامة علمية ووطنية وإنسانية عز نظيرها أندر.
ورحم الله 'مهيار الديلمي' حين قال:

ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
دام الهلال فلم يحق ولم يغيب

لو كان أفضل من في الناس أسعدهم
أو كان أسير ما في الأفق أسلمهم

<http://akhbarelyom.org.eg/adab/issues/782/0300.html>